<"xml encoding="UTF-8?>

رحيل الإمام الجواد (عليه السلام)

استدعاء المعتصم العباسي الإمامَ (عليه السلام) :
بويع الخليفة العباسي المعتصم سنة (218 هـ) ، وما أن استَتَبَّ له أمر الملك ، وانقادت له البلاد شرقاً وغرباً ، حتى أخذ يتناهى إلى سمعه بروز نجم الإمام الجواد (عليه السلام) ، واستقطابه لجماهير الأمّة ، وأخذه بزمام المبادرة شيئاً فشيئاً .
وتتسارع التقارير إلى الحاكم الجديد بتحرك الإمام أبي جعفر (عليه السلام) وسط الأمّة الإسلامية .
وعلى أساس ذلك قَرَّر المعتصم العباسي - وبمشورة مستشاريه ووزرائه ، ومنهم قاضي القضاة ابن أبي دؤاد الإيادي ، المعروف ببغضه لأهل البيت (عليهم السلام) والذي كان يسيطر على المعتصم ، وقراراته وسياسته - أن يبعث بكتاب إلى واليه على المدينة المنورة ، محمد بن عبد الملك الزيَّات ، في عام (219 هـ) ، بحمل الإمام الجواد (عليه السلام) ، وزوجته أم الفضل ، بِكُلِّ إكرام وإجلال ، وعلى أحسن مركب إلى (بغداد) .
فلم يكن بُدّ للإمام (عليه السلام) من الاستجابة لهذا الاستدعاء ، الذي يُشَمُّ منه الإجبار والإكراه .
وقد أحسَّ الإمام (عليه السلام) بأنَّ رحلته هذه هي الأخيرة ، التي لا عودة بعدها .
لذلك فقد خَلَّف ابنه أبا الحسن الثالث ، وهو الإمام الهادي (عليه السلام) في (المدينة) ، بعد أن اصطحبه معه إلى (مَكَّة) لأداء مراسم الحجّ .
وأوصى له بِوَصاياه ، وسَلَّمه مواريث الإمامة ، وأشهد أصحابه بأنَّه (عليه السلام) إمامهم من بعده .
وتستمر الاستعدادات لترحيل الإمام (عليه السلام) إلى بغداد ، ويَستمْهِلهُم الإمام (عليه السلام) لحين إنتهاء الموسم .
وفعلاً ، يؤدي الإمام الجواد (عليه السلام) مراسم الحج ، ويترك (مَكَّة) فور أداء المناسك معرجاً على مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، لِيُخلِّف (عليه السلام) فيها ابنه الوصي الوريث .
يبدو أن الإمام الجواد (عليه السلام) خرج من (المدينة) مُتَّجهاً إلى (بغداد) غير زائرٍ جَدَّه المصطفى (صلى الله عليه وآله) ، وكأنَّه (عليه السلام) أراد بهذه العملية التعبير عن احتجاجه على هذا الاستدعاء ، وأن خروجه من مدينة جَدِّه (صلى الله عليه وآله) إنّما هو مكره عليه .
ويواصل الإمام (عليه السلام) رحلته إلى المصير المحتوم ، وقد أخبر أحد أصحابه بأنه غير عائدٍ من رحلته هذه مَرَّة أخرى .
فروى محمد بن القاسم ، عن أبيه : لمَّا خرج - الإمام الجواد (عليه السلام) - من (المدينة) في المرة الأخيرة ، قال (عليه السلام) : (مَا أطْيَبكِ يا طيْبَة !! فَلَسْتُ بِعَائدٍ إليكِ) .
وبُعَيد هذا فقد أخبر الإمام (عليه السلام) أصحابه في السنة التي تُوفِّي فيها بأنه (عليه السلام) راحل عنهم هذا العام .
فعن محمد بن الفرج الرخجي ، قال : كتب إليَّ أبو جعفر (عليه السلام) قائلاً : (اِحملوا إليَّ الخُمْس ، فإنِّي لستُ

آخذه منكم سوى عامي هذا) .

صول الإمام (عليه السلام) :
وأخيراً ينتهي به (عليه السلام) المسير إلى (بغداد) ، عاصمة الدولة العباسية ، مَقَرُّه (عليه السلام) ، ومثواه الأخير الأبدي ، ودخلها لليلتين بَقِيَتا من المحرم سنة (220 هـ) .
وما أن وصل (عليه السلام) إليها ، وحطَّ فيها رحاله ، حتى أخذ المعتصم يدبِّر ويعمل الحيلة في قتل الإمام (عليه السلام) بشكل سرِّي ، ولذلك فقد شكَّل مُثلَّثاً لتدبير عملية الاغتيال بكلِّ هدوء .

مُثلَّث الاغتيال :
على الرغم من تعدد الروايات في كيفية شهادة الإمام الجواد (عليه السلام) ، إلا أنَّ أغلبها تُجمِع على أن الإمام (عليه السلام) اغتيل مسموماً .
وأنَّ مثلث الاغتيال قد تمثَّل في زوجته زينب المُكنَّاة بـ(أم الفضل) ، وهي بنت بنت المأمون .
وهي المباشر الأول التي قَدَّمت للإمام عنباً مسموماً ، وتمثَّل أيضاً في أخيها جعفر ، والمدبر والمساعد لهم على هذا الأمر هو المعتصم بن هارون .
فقد ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين ومنهم المؤرخ الشهير المسعودي حيث يقول : لما انصرف أبو جعفر (عليه السلام) إلى (العراق) ، لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يُدبِّران ويعملان على قتله (عليه السلام) .
فقال جعفر لأخته أم الفضل - وكانت لأمّه وأبيه - في ذلك ، لأنه وقف على انحرافها عنه ، وغِيرتها عليه ، لتفضيله أم أبي الحسن ابنه عليها ، مع شِدَّة محبتها له ، ولأنها لم تُرزَق منه ولد ، فأجابت أخاها جعفراً .
وقال غيره : ثم إنَّ المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر (عليه السلام) ، وأشار إلى ابنة المأمون زوجته بأن تُسِمَّه .
لأنَّه وقف على انحرافها عن أبي جعفر (عليه السلام) ، وشِدَّة غيرتها عليه ، لتفضيله أم أبي الحسن ابنه عليها ، ولأنه لم يرزق منها ولد ، فأجابته إلى ذلك .
شهادة الإمام الجواد (عليه السلام) :
رُوِي أنَّ مثلث الاغتيال (المعتصم ، وجعفر ، وأم الفضل) ، كانوا قد تشاوَرُوا وتعاونوا على قتل الإمام (عليه السلام) ، والتخلّص منه بعد قدومه إلى (بغداد) ، بل ما استُدعِي (عليه السلام) إلاَّ لهذا الغَرَض .
وفي ذلك يقول المؤرخ علي بن الحسين المسعودي : (وجعلوا - المعتصم بن هارون ، وجعفر بن المأمون ، وأخته أم الفضل - سُمّاً في شيء من عنب رازقي ، وكان يعجبه (عليه السلام) العنب الرازقي ، فلمَّا أكلَ (عليه السلام) منه نَدمَتْ ، وجعَلَتْ تبكي .
فقال (عليه السلام) لها : (مَا بُكَاؤك ؟!! ، واللهِ لَيَضربنَّكِ اللهُ بِفَقر لا يَنجَبِر ، وبَلاء لا يَنْسَتِر) .
فَبُليت بِعِلَّة في أغمض المواضع من جوارحها ، وصارت ناسوراً ينتقض عليها في كلِّ وقت .
فأنْفَقَت مالها ، وجميع ملكها على تلك العِلَّة ، حتى احتاجت إلى رفد الناس .
وتردَّى جعفر في بئر فَأُخرِج ميتاً ، وكانَ سكراناً .
ولما حضرت الإمام (عليه السلام) الوفاة ، بعد أن سرى السُّمَّ في بدنه الشريف ، نص على أبي الحسن الهادي (

عليه السلام) ، وأوصى إليه .
وكانت شهادته (عليه السلام) في آخر ذي القعدة 220 هـ .
وحُفِر للجثمان المقدَّس قبرٌ ملاصقٌ لقبر جدِّه الإمام الكاظم (عليه السلام) ، في مقبرة قريش بـ(بغداد) ، فَوَارَوهُ (عليه السلام) فيه .
وانطفأت بشهادته (عليه السلام) شُعلَة مشرقة ، من الإمامة والقيادة الواعية ، المفكرة في الإسلام .